تعريف اللغة

اللغة ظاهرة إنسانيّة بارزة، وتعدّ من أهم مميزات الإنسان عن غيره من الكائنات، بل هي السّمة الّتي تميّزه عن غيره، لأنّها توجد فيه وحده دون سواه من المخلوقات.

واللغة ظاهرة تعمّ جوانب عدّة، ولذا لم يتّفق العلماء اللّغويون على تعريف واحد لها، فهناك تعريفات كثيرة بيد أنّها لا تعطي كلّ جوانب الظّاهرة اللغوية، لأنّ كلّ تعريف يعتني بجانب أو أكثر، ويهمل جوانب أخرى، ومن العوامل الّتي ساعدت على عدم تحديد التّعريف للغة هو أنّ اللغة تدرس في علوم عدّة، فعلم النّفس يدرسها، وكذا علم الاجتماع، وعلم المنطق، والفلسفة، وعلوم الحياة، وغيرها من العلوم، وكلّ باحث في علم من هذه العلوم ينظر إلى اللغة من الجانب الّذي يخصّه.

وعلم الرّغم من عدم الاتّفاق على تعريف محدّد، لا نعدم تعريفات جيّدة تغطي جوانب مهمّة من اللغة. وهذه التّعريفات كثيرة، سنذكر منها تعريفاً للقدامى وتعريفا للمحدثين. فالقدامى يقولون عن اللغة إنّها:" أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم ".

وهذا التّعريف على إيجازه يسلّط الضوء على أهم جوانب اللغة، فهو يقول: إنّها (أصوات)؛ لأنّ أصل تكوين اللغة هو الأصوات، فالأصوات تمثّل الوحدة الصغرى في تكوين اللغة، وهي جوهر اللغة الّذي به تمتاز عن غيرها، ثمّ يذكر التّعريف أنّها ــ أي: اللغة، متمثّلة بالأصوات ــ وسيلة يُعبّر بها كلّ قوم (أي: الشعوب والأمم والمجتمعات المختلفة) عن أغراضهم أي: عن المعاني والأفكار والأحاسيس والمشاعر فهي الأغراض الّتي يريد المتكلّم أن يعبّر عنها.

أمّا المحدثون، فقد قالوا عن اللغة أنّها: " ظاهرة بسيكولوجية اجتماعيّة، ثقافيّة، مكتسبة، لا صفة بيولوجية ملازمة للفرد، تتألف من مجموعة رموز صوتية لغوية اكتسبت عن طريق الاختبار، معاني مقرّرة في الذّهن، وبهذا النّظام الرمزي الصّوتي، تستطيع جماعة ما أن تتفاهم وتتفاعل ".

وهذا التّعريف يشابه سابقه بيد أنّه أكثر شرحاً، وأطول عبارة، والمهم فيه أنّه يشير إلى أنّ اللغة ظاهرة متشعّبة، ولها جوانب كثيرة أهمّها أنّها ظاهرة سيكولوجية بايلوجية، أي: نفسيّة حياتيّة، فهي ترتبط بعلم النّفس، لأنّ اللغة تعدّ استجابة لمثير، وهذا المثير هو الدّافع (أي: الحاجة) الّتي يريد المتكلّم التّعبير عنها، وهي بايلوجية؛ لأنّ النّطق يتمّ في جهاز يرتبط بأعضاء الجسم كاللسان، والشفتين، والحنجرة، ومن جوانب اللغة الأخرى أنّها اجتماعية، أي: أنّ المجتمع يستعملها ليتواصل بقاؤه، وهي كذلك ثقافيّة، أي: تنقل الأفكار العلميّة، والمعارف من فرد إلى آخر، وهناك جوانب أخرى في هذا التّعريف تدخل في مجال الاختصاص اللغوي الدّقيق.

نشأة اللغة

عُني اللغويّون كثيراً بموضوع نشأة اللغة، واللغة هذا النّظـام المتماسـك المحكم، الّذي يقوم بهذه الوظيفة العظمى، من غير المعقول أن يكون نشأ من غـير آلية توازي حجمه وأهميته، وقد أجهد الباحثون أنفسهم في محاولة الكشف عـن سرّ نشأة اللغة لكنّهم لم يتوصّلوا إلى الحقيقة القاطعة، بل وصلوا إلى افتراضـات وتخمينات، وصاغوا على أساسها آراءهم في نشأة اللغة بصورة نظريـات عـدّة، أبرزها:

١ــ نظرية التوقيف: وتفترض هذه النظرية أنّ اللغة نشأت عـن طريـق (الوحي) من الله ــ سبحانه وتعالى ــ إلى الإنسان المتكلّم الأوّل، وهو آدم (عليه وعلى نبينا وآله الصلاة والسلام)، وبُني هذا الافتراض على مـا ورد في القـرآن الكريم في قصة خلق آدم (عليه وعلى نبينا وآله الصلاة والسلام)، فقد قال جـلّ وعلا: ﴿وعَلّمَ آدمَ الأسماءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة ٣١) ، وكذلك على ما ورد في العهـد القديم من الإنجيل من أنّ الله تعالى دعا كلّ حيوانات البرية، وكلّ طيور السّماء، فاحضرها إلى آدم (عليه وعلى نبينا وآله الصلاة والسلام)؛ ليرى ماذا يـدعوها، وكلّ ما دعا به آدم ذات نفس حية، فهو اسمها، فدعا آدم بأسماء جميـع البـهائم وطيور السّماء، وجميع حيوانات البرية. (سفر التكوين، الإصحاح الثاني، الآيان: ١٩و ٢٠).

٢ــ نظرية الاصطلاح: وتفترض هذه النظرية أنّ اللغة وضعت عن طريق التّواضع والاتّفاق. أي: أنّ اللغة ارتُجلت ارتجالاً وخُلقت خلقاً من قبل الإنسان، فعندما يطلق لفظ ما على معنى ما، ويشيع بين الجماعة المتكلّمة، يثبت هذا المعـنى لهذا اللفظ الّذي أطلق عليه.